Vol 08 / Issue 34 / December 2024
ISSN 2568-6739 p312-331

Journal of social sciences
Democratic Arabic Center For Strategic, Political & Economic Studies, Germany-Berlin

Undercover migration dilemmas for young people in Tunisia: Analysis of a category of young people with civilians

SOUIDI Hilel*

University of Tunis, Faculty of Humanities and Social Sciences of Tunis-Tunisia

souidihilel@gmail.com

https://orcid.org/0009-0009-0577-6282

Received: 18/11/2023, **Accepted**: 30/11/2024, **Published:** 28/12/2024

Abstract: The phenomenon of illegal migration that has emerged since the late 1990s has begun to pose a serious threat to the various states that host these migrant groups. Therefore, due to the increasing frequency of this phenomenon in African countries, Tunisia, which has become a transit zone for these illegal immigrants, has reached a peak in coastal areas on the shores of the Mediterranean Sea. This crisis has evolved from the category of migrants able to work on the migration of women and children, further aggravating suffering through arrest, imprisonment or death.

Through this study, we will first try to identify the main drivers of illegal migration of this group of young people, despite a tight control of maritime borders. Second, the study highlights the most important aspirations of these migrants and the many dilemmas of this phenomenon, that have sparked wide debate among States and stressed the need to establish international policies on them that guarantee the interests of States, protect human rights and fundamental freedoms and preserve their dignity and humanity.

Keywords: Illegal migration, Concepts, Causes, Effects - Youth.

**Corresponding author*

مجلة العلوم الإجتماعية
المركز الديمقراطي العربي ألمانيا-برلين
المجلد:08/العدد 34/ديسمبر 2024
ISSN 2568-6739 ص312-331

معضلات الهجرة السرية للشباب اليافعين في تونس: دراسة تحليلية لفئة من الشباب بجهة مدنين

هلال صويدي*
جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية-تونس
souidihilel@gmail.com
https://orcid.org/0009-0009-0577-6282

تاريخ الاستلام: **2023/11/18** - تاريخ القبول: **2024/11/30** - تاريخ النشر: 2024/12/28

ملخص: إن ظاهرة الهجرة السرية التي برزت منذ نهاية التسعينات قد بدأت تشكل تهديدا خطيرا على مختلف الدول التي تستقبل هذه الفئات المهاجرة. وعليه، ونتيجة تزايد الوتيرة لهذه الظاهرة في البلدان الإفريقية ونذكر منها تونس، التي أصبحت منطقة عبور لهؤلاء المهاجرين غير الشرعيين بشكل بلغ ذروته في المناطق الساحلية التي تقع على ضفاف البحر الأبيض المتوسط. وتطورت هذه الأزمة من فئة المهاجرين القادرين على العمل إلى هجرة النساء والأطفال، وهو ما زاد في تعميق المعاناة بالاعتقال، السجن أو الموت.

وسنحاول من خلال هذه الدراسة الوقوف أولا على أبرز الدوافع المؤدية للهجرة السرية لهذه الفئة من الشباب رغم تشدد الرقابة على الحدود البحرية. ثانيا، تسلط الدراسة الضوء على أهم طموحات هؤلاء المهاجرين وأهم المعضلات المتعددة لهذه الظاهرة التي أثارت جدلا واسعا في النقاشات بين الدول وأبرزت ضرورة تأسيس سياسات دولية بشأنها تضمن مصالح الدول وتحمي حقوق الانسان وحرياته الأساسية وتحفظ كرامته وانسانيته.

الكلمات المفتاحية: الهجرة السرية، المفاهيم، الأسباب، الآثار، الشباب اليافعين.

*المؤلف المرسل

مقدمة

يعتبر المجتمع العربي من أكثر المجتمعات التي تحظى بقوى بشرية شابة قادرة على الإنتاج. ولعل المجتمع التونسي من أهم هذه المجتمعات، اذ "تقدر نسبة الشباب اليافعين (القصر) والذين لا تتجاوز أعمارهم 20 سنة حوالي 70% من المجتمع التونسي (بالجنوب، 2023) ".

وفي ظل تفاقم ظاهرة الفقر في العصر الراهن، وأمام ارتفاع نسب البطالة في تونس في صفوف هؤلاء الشباب "والتي بلغت نسبتهم 39.2% لدى الذكور و35.8% لدى الإناث حسب مؤشرات التشغيل والبطالة لسنة 2023" (بالجنوب، 2023).

ومن خلال دراستنا لظاهرة الهجرة السرية بإقليم بالجنوب الشرقي (ولاية مدنين)، ونتيجة تفاقم البطالة في المناطق التي تعيش تهميشا تنمويا على جميع المستويات وانعدام موارد الرزق، ورغم فشل العديد من التجارب، أصبح الوضع الراهن يفرض ظهور عصابات مختصة في تنظيم رحلات الهجرة السرية تهدف إلى الإتجار بالبشر. وتنظيم رحلات نحو مواجهة مصير مجهول بطرق غير قانونية. ونتيجة للموقع الجغرافي الذي تتميز به البلاد التونسية نظرا لقرب المسافة من القارة الأوروبية، والتي كانت طموح البعض من الفئات الشبابية للهجرة بحثا عن ماهو أفضل لمستقبلهم المادي والمعنوي وظنا منهم كسبيل للنجاة من انتشار الفقر والخصاصة وفشل السياسات التنموية الراهنة وباعتبار أن هذه المرحلة ضرورية، فإن الحرص واجب على تناول هذا النوع من البحوث التي تمس الواقع اليومي.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والنظريات المفسرة للهجرة السرية :

لقد تعددت المفاهيم والنظريات المفسرة للهجرة، وفي هذا الإطار تم اختيار بعض المفاهيم المتقاربة لموضوع الهجرة كاللجوء وتهريب المهاجرين. أما بالنسبة للنظريات المفسرة تم اعتماد أربع نظريات لتدعيم البحث، منها النظريات السوسيولوجية والنظرية الاقتصادية ونظرية الطرد والجذب من خلال ثنائية الدول الطاردة والدول المستقطبة للهجرة.

المفاهيم:

تحتوي كل دراسة علمية سوسيولوجية على جملة من المفاهيم الإجرائية التي تخدم موضوع البحث ومن بين هذه المفاهيم المعتمدة في البحث:

الهجرة: "تعني الاغتراب أو الانتقال من بلد إلى آخر عبر حدود دولية أو داخل الدولة الواحدة بعيدا عن مكان إقامته. وتكون الهجرة في شكل أفراد أو جمعيات بالاستقرار والبحث عن معايير حياتية أفضل" (غريفيتش، 2012).

الهجرة السرية: المقصود هنا من الهجرة الغير نظامية، "هي الهجرة بدون موجب قانوني أو تأشيرة أو رخصة مسبقة. وهي أيضا التحول إلى دولة ما بطريقة غير قانونية الراعية في البلد الراعي لهذه الفئة من المهاجرين" (الحوات، 2017).

الإتجار بالبشر: هي عملية توظيف أو تجنيد شخص وإيواءه ونقله أو تنقيله بواسطة القوة أو الاختطاف او الاحتيال أو بهدف استغلاله من أجل الربح المالي.

عملية التجار بالبشر تمر بثلاث مراحل متتالية: أولها يتمثل في اصطياد الضحية عن طريق الإكراه أو الاغراء، ثم يتم نقل الضحية باحتجاز وثائق تسفيره وإجبار الضحية على العيش كحياة العبيد وبالتالي الانضمام إلى مجموعات منظمة من المتسولين أو المجرمين" (يوسف، 2011).

عملية تهريب المهاجرين غير النظاميين :

يعرّف بروتوكول منع تهريب المهاجرين عن طريق البر والبحر، الملحق باتفاقية الأمم المتحدة ضد الجريمة الدولية المنظمة، أطلق عليها بروتوكول "تهريب المهاجرين" وهو "القيام بالتدابير اللازمة من أجل الحصول بشكل مباش أو غير مباشر على فائدة مالية جراء إدخالهم الغير مشروع الى دول الاستقبال الذي لا ينتمون اليها أو يقيمون على أراضيها بصفة دائمة، أما الهجرة السرية فيقصد بها هنا مغادرة الإقليم بطريق لا قانونية بمساعدة المهربين. (حسن، 2016)

الشباب اليافعين: يعرف عالم الاجتماع الفرنسي "Olivier Galland" الفئة الشبابية في كتابه "Sociologie de la jeunesse" "هي الفئة العمرية الذين تتراوح أعمارهم بين (13 و24سنة) (Galland, 2019)

النظريات المفسرة للهجرة السرية:

تناولت عدة النظريات تفسير الهجرة الغير شرعية بمختلف ابعادها وجوانبها، وسيتم التطرق في هذه الدراسة الى نظرية الطرد والجذب، بالإضافة إلى النظرية الاقتصادية والسوسيولوجية كأحد العوامل المساعدة على الهجرة السرية التي نالت اهتماما كبيرا لتفسير هذه الظاهرة.

نظرية الطرد والجذب:

تتمثل نظرية الطرد والجذب في وجود مجموعة من العوامل الطاردة التي تدفع المهاجر لترك مكان سكنه الأصلي إلى مناطق أخرى تمثل مناطق جذب ايجابية بسبب توفر عناصر رئيسية كمستويات المعيشة وفرص العمل.

تناول هذه النظرية الدكتور ساعد رشيد في كتابه "واقع الهجرة السرية في الجزائر" "بأنها متكونة من متغربين اثنين مستقلين وهما عامل الطرد وعامل الجذب من مكان المنشئ الى مكان الاستقبال" ولخص هذه النظرية في نقاط محددة، اولها عوامل الطرد والتي تتمثل بالأساس في فشل السياسة الاجتماعية ويقصد بذلك سياسات التنمية، وبين أن أسباب الطرد الرئيسية تتمثل في "تلك الظروف التي تنجُمُ عن المجاعات والقحط أو الكوارث والفيضانات أو نتيجة لظروف سياسية واجتماعية مختلفة". (ساعد، 2018)

أشار الباحث في هذه النظرية إلى العوامل الاقتصادية التي أدت الى لجوء العديد من الشباب اليافعين الى الهجرة الغير قانونية. يصفها الباحث أحمد الربايعية "أن العوامل الاقتصادية التي أدت بالعديد من الشباب الى الهجرة الى دول المهجر وفي الآن نفسه تلعب دورا خطيرا في أحد العوامل الطاردة للمجتمع الأصلي". (الربايعية، 2010).

النظرية الاقتصادية:

إن النظرية الاقتصادية للهجرة تتعلق بالأساس بتفسير مسألة الهجرة بالعوامل المرتبطة بالوظيفة والعمل ويرى "أرنست رافينيست" من خلال تحليله لهذه النظرية أن الظروف الاقتصادية السيئة تدفع بالأفراد إلى ترك أوطانهم الأصلية والانتقال الى بلاد المهجر بحثا عن ظروف اقتصادية مريحة. وقد فسر ظاهرة الهجرة الغير الشرعية في علاقة العرض والطلب وفي علاقة ايضا مع تطور هجرة العمال والتطور الاقتصادي. ولعل "الظروف الاقتصادية المتباينة بين الدول الفقيرة والغنية هي التي دفعت بالعديد من الشباب نحو ترك أوطانهم الأصلية والهجرة نحو الدول الأوروبية بحثا عل مستوى عيش أفضل". (رافينست، 2014)

هذا التوجه الاقتصادي اهتم بدوافع الهجرة ودورها في تحفيز الشباب نحو مغادرة بلدانهم، ومن ذلك اعتبرت الهجرة السرية "مظهرا من مظاهر تحقيق الذات وتحقيق الحد الأدنى من طموحاتهم". (اربايعية، 2011).

النظرية السوسيولوجية :

يرى التحليل السوسيولوجي لظاهرة الهجرة السرية بأن هذه الظاهرة تدرس أيضا مجموعة المشاكل التي يخلفها عدم الاندماج بناءا على انسياقات أيدولوجية للدول المستفيدة والمستهلكة للهجرة لمختلف فئات الشباب.

إن التوازن بين الوسائل والأهداف المتاحة وتحقيقها بالطرق المشروعة، فيمكن تصنيف الهجرة حسب نظرية "دوركايم" إلى ثلاثة أنواع: أولها الهجرة السرية باعتبارها انتحار أناني: ويحدث هذا السلوك بسبب النزعة الفردية المتطرفة وانفصال الفرد عن الثقافة التي يعيش فيها، وينشأ هذا النوع نتيجة ضعف درجة التضامن الاجتماعي داخل المجتمع الواحد، والنوع الثاني: أن الهجرة السرية يعبر عنها بكونها "انتحار إيثاري": وتحدث هذه الحالة عندما يكون الفرد مرتبط ارتباطا وثيقا بجماعات أو أشخاص متشبعين بفكرة الهجرة غير النظامية.

أما النوع الثالث: وهو موضوع دراستنا، وهو الهجرة السرية باعتبارها "انتحار أنومي": وتحدث الهجرة الغير شرعية في هذه الحالة عندما تنحلُّ النُّظم الاجتماعية والأخلاقية في المجتمع. (السراي، 2011).

المبحث الثاني: الإطار المنهجي: أسباب الهجرة السرية وانعكاساتها على الشباب اليافعين:

1) أسباب الهجرة السرية :

الأسباب الاقتصادية :

تعتبر الأسباب الاقتصادية من أهم الأسباب التي أدت إلى الهجرة غير النظامية والتي تعلقت بعوامل حقيقية وأخرى شكلية، حيث شكل الفارق في المستوى المعيشي بين الدول الأوروبية والدول العربية عاملا أساسيا في تحفيز الشباب بالجنوب الشرقي التونسي للهجرة نحو أوروبا، حيث بينت بعض الدراسات عبر الباحث في علم الاجتماع "سمير رويص" أن أغلب هؤلاء المهاجرين من الشباب ينحدرون من أوساط اجتماعية: تعيش الفقر والخصاصة، هذا الوضع المتأزم تجعل تلك الأوساط طاردة لمتساكنيها جراء تزايد معدلات البطالة في صفوف الشباب بصفة عامة وخاصة المتزوجين منهم تتقلص فرص العمل وضعف قطاع الخدمات" (رويص، 2008).

لقد بدا واضحا بأن تأزم الوضع الاقتصادي والاجتماعي بالشمال الشرقي مرده هو التفاوت بين الأقاليم التونسية من حيث توزيع المشاريع التنموية".

إن التباين على المستوى الاقتصادي بين أقاليم الجنوب الشرقي والشمال الشرقي يعود إلى تذبذب وتيرة التنمية وهو ما ساهم بدوره في عزوف الشباب عن مواصلة الحياة ببلدانهم الأصلية والتفكير في الهجرة كحلٍ أمثل لحياة أفضل. (خنوف، 2015-2016)

لهذا تطرح الدراسة بأن ظاهرة البطالة تعتبر أحد العوامل التي تدفع الشباب إلى الهجرة بدرجة أكثر حدة في الشمال الشرقي التونسي، تقدر النسبة بحوالي 83% أغلَبهم من الشباب المعطلين عن العمل خلال سنة 2018 وهو ما يبينه الرسم البياني التالي:

رسم بياني عدد1: نسبة البطالة للذكور والإناث بولاية مدنين

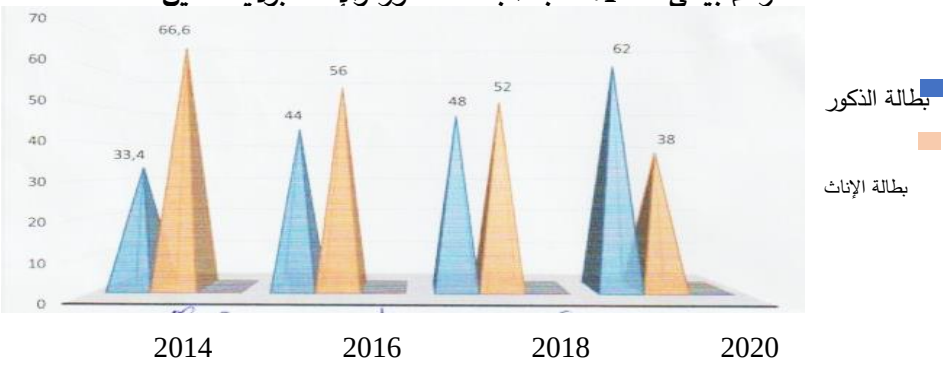

المصدر: المعهد الوطني للإحصاء، 2014

لقد تبين من خلال الرسم البياني التالي أن في سنة 2014 بلغت نسبة البطالة 66,6% مقارنة بنسبة الإناث 33,4%، هذا النموذج يوضح لنا ضعف وتدهور المستوى الاجتماعي والاقتصادي لفئة الشباب، وهذه الظاهرة تبين أن مسألة الهجرة السرية ترتبط ارتباطا وثيقا بالوضع الاجتماعي للشباب اليافعين في مجتمع يعتبرونه مجتمع ينعدم فيه العيش الكريم وسُبل انعدام الوقاية من المخاطر الحياتية، فالهجرة تقتصر هذه مرحلة على الفئات الشبابية العاطلة عن العمل.

الأسباب الاجتماعية: "يعتبر الفقر أساس الحرمان من الضروريات الحياتية التي يفتقد فيها الشباب اليافعين الدخل الكافي للحصول على الحد الأدنى من الرعاية الصحية والغذاء والملبس والتعليم والصحة وكل ما يعدُّ من الاحتياجات اللازمة. (حمزة، 2012)

الأسباب النفسية: تعد الأسباب النفسية من أهم الأسباب المؤثرة في عملية الهجرة السرية خاصة لدى الشباب اليافعين، حيث نلاحظ أن الشعور بالرغبة في الهجرة يرتبط بلحظة أخذ القرار، حيث تلعب الخصائص السيكولوجية بالمهاجر دورا كبيرا في تجديد مدى قدرة الشباب المهاجرين على النجاح أو الفشل في تحقيق رغباته وطموحاته.

إذا التمايز يظهر هنا بين ثقافة الشباب الأصلية التي يحملها المهاجر والتي تختلف عن الثقافة الأوروبية ذات الأصول المسيحية واليهودية، هذا الاختلاف الثقافي يجعل عملية الاندماج ضعيفة لدى الشباب اليافعين المهاجرين وخاصة الذين لهم مستوى تعليمي متدني، وهو ما يساهم بدوره "في تحول هؤلاء المهاجرين إلى فئات مهمشة يمارسون سلوكيات منحرفة قد تعرضهم إلى العقوبة منها السجن والتسفير" (شريف، 2015).

انعكاسات الهجرة السرية على الشباب اليافعين :

تمثل الهجرة غير الشرعية في الجنوب الشرقي طموح مختلف الشرائح العمرية وخاصة الشباب بمختلف أطيافه، الفتيات مثلا والأطفال القصر. والإحصائيات تبين الكم الهائل من محاولات الهجرة عبر قوارب الموت والتي سجلنا قرابة 3500 مهاجر من الفئة الشبابية حسب تقرير المنظمة التونسية للهجرة وهي نسب تعتبر مرتفعة خاصة في السنوات الأخيرة إلى حدود 2023.

وتعتبر جزيرة لمبدوزا الإيطالية مركزا أساسيا لاستقبال اللاجئين المهاجرين من الفئة الشبابية (13–24 سنة) وكان ذلك نتيجة ضعف المستوى الأمني في بلدان دورات الربيع العربي. (رويحي، 2008)

وهو ما يسميها بعض المفكرين الغربيين "بالطوفان البشري" ولكن أمام تعدد المظاهر فإن الأرقام أصبحت مفزعة والرسم البياني الحالي أفضل دليل على ذلك:

رسم بياني عدد2: نسبة ضحايا المهاجرين بين سنة 2014 و 2021

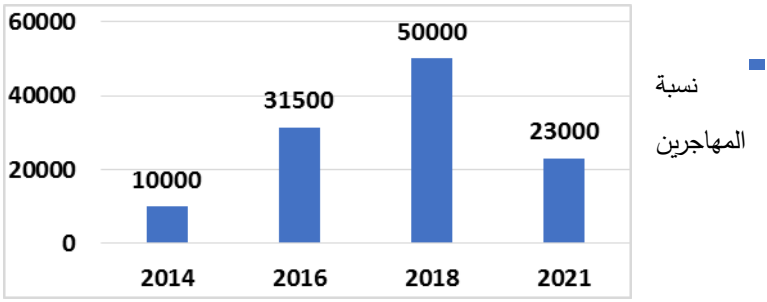

المصدر: جمعية المهاجرين غير الشرعيين بمعتمدية جرجيس

مما لا شك فيه أن ارتفاع عدد ضحايا الهجرة السرية من الفئة الشبابية أصبح بصفة تدريجية بين 2014-2021 إلى حد زيادة تقدر بـ1000 شخص سنويا، وهو ما يوثقه الرسم البياني:

رسم بياني عدد3: أعداد المهاجرين نحو السواحل الإيطالية بين سنة 2014 و2021

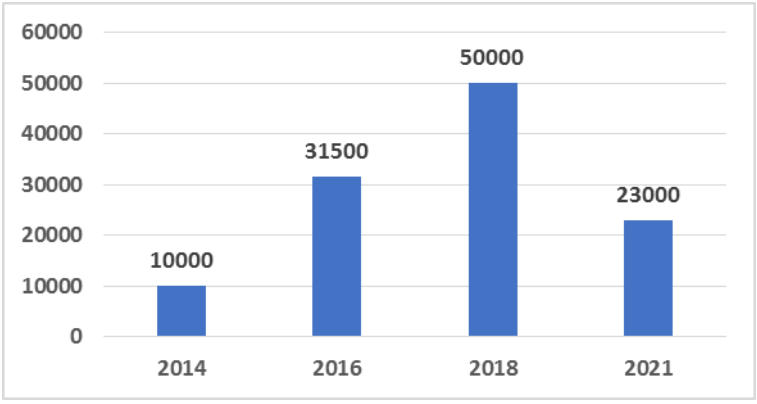

المصدر: جمعية المهاجرين غير الشرعيين بمعتمدية جرجيس

شهدت الهجرة السرية في الآونة الأخيرة ارتفاع نسبة المهاجرين حيث بلغ سنة 2014 حوالي 10 آلاف مهاجر مقارنة سنة 2018 حيث بلغ عدد المهاجرين 50000 مهاجر، هذه النسب تضاعفت تقريبا خمس مرات خلال الفترة الممتدة بين 2014 و 2018، وهذا راجع لتدهور الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تشهدها عدد من البلدان العربية بعد الثورات المتتالية ومنها تونس.

هذا النوع من الهجرة قد جعل البلاد التونسية تواجه ضياع العديد من الفئات الشبابية الذين يعانون من مشكلة الفقر والذين كانوا ضحايا لسياسة الفقر والتهميش، فبالعودة إلى منظمة الهلال الأحمر التونسي سجلنا نسبة تتجاوز 3075 مهاجرا ممن لقوا حتفهم غرقا سنة 2014 نتيجة عدة عوامل اختلف فيها الاجتماعي والاقتصادي وعملية التنشئة الاجتماعية. (بسوسة، 2020).

هذه المآسي الإنسانية خلقت نوعا من الشعور بالإحباط في أوساط العائلات التونسية وأنتجت حالات نفسية متأزمة بنسب فقدان أبنائها الذين هم في سن المراهقة. (كشريد، 1992)

المبحث الثالث: الآليات المعتمدة للحد من مخاطر الهجرة السرية للشباب :

يمكن الإشارة أولا إلى أن العصر الحديث قد شهد تفاقما كبيرا لهذه الظاهرة وخاصة لدى فئة الشباب اليافعين في مجتمع يتخبط في مخاطر عديدة ومتنوعة، وازداد عدد المهاجرين نتيجة الضغوط الاقتصادية والاجتماعية. يشير إلى ذلك "أنطوني عدنز" بقوله "ليست الهجرة السرية ظاهرة جديدة، غير أنها أخذت بالتسارع المتزايد في العقود الأخيرة لتصبح جزءا لا يتجزأ من عملية التكامل العالمي، وتشير بعض التقديرات إلى أن أعداد المهاجرين ستتزايد في أوائل القرن الحادي والعشرين، بل أن بعض علماء الاجتماع يطلقون على أيامنا هذه عصر الهجرة" (أنطوني، 2005).

إذا محاولة البلاد التونسية كانت جدية وحاسمة في هذه المسألة للحد من مخاطر هذه الظاهرة وبيّنها في "مسودة مشروع الدستور لمواجهة الهجرة السرية سنة 2012" بمعاقبة كل من يقوم بإيواء أشخاص وتسفيرهم بطريقة غير قانونية.

الآليات الاقتصادية لمكافحة الهجرة غير السرية:

إن العمل على تنمية الاقتصاد بالدول المصدرة للهجرة، هي أنجع الطرق الكفيلة للتقليل من تدفق الهجرة نحو أوروبا وخاصة لدى هذه الفئة من الشباب.

"عملت البلاد التونسية على اتباع سياسة تنموية تقوم على تطبيق برنامج تنموي يقوم على التمييز الإيجابي بين المناطق منها:

دور المجتمع المدني: توعية الشباب اليافعين حول مخاطر الهجرة السرية وأضرارها.

تفعيل دور المؤسسات التربوية: لها دور فعال بالتركيز على الفاعل المهاجر (الضحية)، حيث تلعب هذه المؤسسات دورا هاما في "عملية التنشئة الاجتماعية وذلك من خلال غرس المهارات

والإتجاهات المرغوبة لدى الناشئين بالقيام بالأدوار الاجتماعية المطلوبة منه في الجماعة والمجتمع، وصولا إلى تنمية القدرات النفسية وترشيد السلوكات وبناء شخصية قوية ومتوازنة للشباب اليافعين بحيث يصبحون قادرون على مواجهة المخاطر". (خلوصي، 2016)

ولا يتم ذلك ويتحقق إلا بمتابعة المنظومة التربوية ومؤسسات التنشئة الاجتماعية من مدارس وجامعات للعصر الراهن من خلال التركيز على:

–ضرورة تنمية وتطوير أنواع مختلفة من التفكير الذي يساعد على صقل المواهب وتحقيق الذات.

–ربط التعليم النظري بتطبيقاته في الحياة العملية للفاعلين القائمين بالتنشئة الاجتماعية.

–ترسيخ الانتماء والمواطنة بالربط بين القيم الفردية والقيم المجتمعية وهذا يؤدي بدوره إلى الاستقرار الاجتماعي.

دور النخب العلمية المعاصرة: من جامعات ومعاهد عليا متخصصة ومراكز لبحث نظرا لوجود رأس مال بشري فاعل بالقيام بالدراسات العلمية المبنية على أسس منهجية موضوعية واقعية مستمدة على ظروف ووقائع الظاهرة وبرسم سياسة وقائية شاملة لمعالجة ظاهرة الهجرة السرية بالإضافة إلى تنظيم ملتقيات ومؤتمرات حول هذه الظاهرة موضوع الساعة.

دور الأمن الاجتماعي: من خلال تقديم برامج تكوينية وتأهيلية للعاطلين عن العمل ومحاولة إدماجهم اجتماعيا ومهنيا ومنحهم شهادات تتميز بالكفاءات معترف بها وطنيا ودوليا لتوفير فرص العمل وتعزيز انتمائهم إلى المجتمع يولد لدى الفرد الاستقرار العاطفي والنفسي، فتنشأ ذات سويّة بعيدة عن التهميش والاغتراب التي عادة ما تؤدي إلى اتخاذ قرار الهجرة السرية من أجل تحقيق مستقبل أفضل.

دور الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي: من خلال توعية المواطنين بواسطة الإعلام عن الظاهرة وآثارها المدمرة، وتفعيل البرامج التثقيفية ومساهمتها في تغيير أخلاقيات الشباب وتدعيم التعاون بين الدول في الإعلام وفقا للمادة 31 من اتفاقية الأمم المتحدة للجريمة المنظمة" وتظافر الجهود بين الدول المصدرة للهجرة ودول العبور والدول المستقبلة. ولتجسيد هذه الآليات استلزم تكثيف أجهزة ومصالح أمنية برية وبحرية وجوية حامية للحدود للتقليص من وطئة الظاهرة.

المبحث الرابع: البناء الميداني:

لقد ارتأينا أن يكون مجال الدراسة، الجنوب الشرقي (ولاية مدنين) ويعود ذلك إلى مكانتها المتميزة والرائدة في عملية الهجرة السرية، تتميز بموقعها الجيد وإطارها المكاني كموقع استراتيجي لعملية الحرقة" وخاصة لدى هذه الفئة من الشباب اليافعين الذين تتراوح أعمارهم بين (13-21) سنة.

1) خصائص عينة البحث: صرخة جديدة:

تنوعت الخصائص العامة بالمهاجرين غير النظاميين، منها ما يتعلق بالسن والمستوى الدراسي والحالة المدنية:

-تبين من خلال الدراسة، أن أغلب المهاجرين هم من فئة الذكور، وتبلغ عينة البحث ثلاثون مهاجرا، ويعود غياب مشاركة المرأة في هذه المغامرة إلى:

أولا: بسبب تعدد المخاطر التي يتعرض لها المهاجرين

ثانيا: طبيعة العادات والتقاليد الاجتماعية والثقافية التي تمنع المرأة من السفر بمفردها، عبّر عنها الباحث في علم الاجتماع الدكتور سمير رويحي بقوله "يفسر غياب مشاركة الفتاة في هذه الممارسات الاجتماعية التي نحصوها إلى منظومة من القيم الأخلاقية والنواميس الاجتماعية الذي تمنع مثل هذا الفعل اللاشكلي فالإبحار خلسة مجازفة لا تخلو من مخاطرة ولا تستند إلى أي مشروعية اجتماعية أو قانونية". (رويص، 2008).

إضافة إلى أن الوعي المجتمعي أن مخاطر الهجرة غير القانونية تشمل الجنسين على حد السواء، بل هي ظاهرة ذكورية بالأساس (في ولاية مدنين). فقد مثل الوسط العائلي والبيئي عائقا أمام الفتاة للقيام بعملية اجتياز الحدود.

الفئة العمرية:

جدول عدد1: توزيع المستجوبين حسب متغير السن

الفئة العمرية	العدد	النسبة %
أقل من 13 سنة	2	%6
بيت 15-20 سنة	5	%17
بين 20-24 سنة	23	%77
المجموع	30	%100

المصدر :ميدان البحث

نتبين من خلال الجدول المخصص لتوزيع السكان حسب أهم الفئات العمرية للمهاجرين غير الشرعيين هم من الفئة الذكورية للشباب، من ذلك أن نصف أفراد العينة تقدر بـ (23 شاب من عدد 30 مستجوب) تتراوح أعمارهم بين (20–25 سنة). وفي المقابل سجلنا شابين سنهم دون 13 سنة خاضوا تجربة الهجرة السرية.

إذا نلاحظ أن ولاية مدنين تشهد ارتفاعا في عدد الشباب المهاجرين من الفئة العمرية (20–25) سنة، ونسبة 77% نظرا لتدهور المستوى الاقتصادي والاجتماعي بالجهة وارتفاع نسبة البطالة بشكل تدريجي.

المستوى الدراسي:

جدول عدد 02: توزيع المستجوبين حسب المستوى الدراسي

المستوى الدراسي	العدد	النسبة %
إعدادي	2	%6
ثانوي	18	%60
عالي	10	%34
المجموع	30	%100

المصدر: ميدان البحث

بناءا على ما أفرزته نتائج البحث الميداني في هذا المستوى توصلنا أن المستوى التعليمي بلغ ذروته في المرحلة الثانوية من مجموع 30 شابا، معنى ذلك أن نسبة الشباب المتمدرسة في الابتدائي بلغ العدد 2 فقط من فئة الشباب وثلث (3/1) من أفراد العينة بلغوا مرحلة التعليم العالي، عبر عنها الدكتور الباحث في علم الاجتماع سمير رويص حسب الدراسة التي أجراها في هذا السياق أن "الانقطاع عن التعليم شكل دافعا مشجعا على القيام بمغامرة الهجرة السرية شكل أرضية ملائمة لأغلب الفاعلين بالاتصال بأحد وسطاء شبكات تهريب البشر وترتيب الظروف العامة لاجتياز الحدود البحرية خلسة". (رويص، 2008).

الحالة المدنية:

تميزت ظاهرة الهجرة السرية غير الشرعية باستقطابها لفئة الشباب وخاصة الشباب غير المتزوجين وهو ما نستخلصه من الجدول التالي:

جدول عدد3: توزيع الفئة حيث الحالة المدنية

الحالة المدنية	العدد	النسبة %
أعزب	25	%84
متزوج	1	%3
مطلق	4	%13
المجموع	30	%100

المصدر: ميدان البحث

على ضوء المعطيات التي تحصلنا عليها نلاحظ أن أغلب المستجوبين بلغ 25 شاب نسبة تقدر بـ84% من مجموع 30 مستجوبا، مقارنة بعدد المطلقين التي بلغت نسبتهم 13%، وهو ما يفسر أن ظاهرة الهجرة السرية قامت باستقطاب الفئة العمرية الشابة الغير المتزوجة. مرد ذلك الرغبة الجادة في مغادرة أرض الوطن وتحسين الوضع الاجتماعي.

الوضعية الاجتماعية لأفراد العينة:

جدول عدد4: توزيع أفراد العينة حسب الوضعية المهنية

الوضعية المهنية	العدد	النسبة %
عاطل عن العمل	22	%73
يشتغل	8	%27
المجموع	30	%100

المصدر: البحث الميداني

أفضت معطيات الجدول التالي أن النسبة الهامة من البطالة بلغت ذروتها 73% من مجموع أفراد العينة، ولا يمكن التعميم باعتبار العينة صغيرة وعشوائية مقارنة بمجموع شباب ولاية مدنين. نتوصل من خلال هذه المعطيات العينية أن الهجرة السرية تصبح أمرا إجباريا لتحسين مستوى العيش والحصول على مورد رزق.

تجربة الهجرة السرية:

مثلت تجربة الهجرة اعتبارين اثنين "الأول مرده النجاح معنى ذلك الوصول إلى البلد المستقبل بالهجرة، والثاني مآله الفشل ↔ يعني عدم نجاح عملية الحرقة".

هذا ما نلحظه من خلال الجدول التالي:

جدول عدد 5: توزيع المستجوبين حسب طريقة الاتصال بشبكة الهجرة:

طرق الاتصال بشبكة الهجرة	العدد	النسبة %
عن طريق أحد الأقارب	6	%20
عن طريق الأصدقاء	8	%27
عن طريق وسيط	12	%40
طرق أخرى	4	%13
المجموع	30	%100

المصدر: ميدان البحث

بينت معطيات البحث الميداني أن حوالي 40% كانت لهم علاقة مباشرة بوسيط يعمل بشبكة الهجرة غير النظامية مقارنة ببقية أفراد العينة التي كانت طريقة إجبارهم بمسلك العبور تختلف من شخص إلى آخر حسب الأسلوب الأنجع لاجتياز الحدود البحرية، وللوسطاء دور هام في تسيير عمليات الهجرة التي أصبحت تجارة مربحة للبعض ممن امتهنوا هذا العمل عبر قوارب الموت مقابل غلاء تكلفة الهجرة لهذه الفئة من الشباب. نلاحظ تباينها من خلال الجدول التالي:

جدول عدد 6: توزيع المستوجبين حسب تكلفة الرحلة

المبلغ	العدد	النسبة %
4000 دينار	22	%73
6000 دينار	6	%20
8000 دينار	2	%7
المجموع	30	%100

المصدر: ميدان البحث

ما نلاحظه من هذه المرحلة، أن تكلفة الهجرة السرية تختلف مبالغها حسب درجة خطورة الرحلة، ظهر ذلك على إثر ما ورد من معطيات في الجدول فالنسب متباينة من خلال النسب المتفاوتة، فدرجة الخطورة تسجل 73% من مجموع المستوجبين الذين تسجل تكلفة رحلتهم 2000د، أما ارتفاع تكلفة (5000د) يعد أن نسبة الخطورة منخفضة حسب مسالك الرحلات التي يتم اعتمادها.

جدول عدد 7: توزيع أفراد الغينة حسب أسباب الهجرة

أسباب الهجرة	البطالة	الفقر	الاضطرابات النفسية	المجموع
العدد	20	8	2	30
النسبة %	67	27	6	%100

المصدر: البحث الميداني

نستشف من خلال الجدول التالي أن نسبة البطالة التي مثلت 67% من مجموع العينة تحتل المرتبة الأولى كسبب رئيسي في عملية الهجرة السرية مقارنة بنسبة الفقر التي تحتل المرتبة الثانية كأحد العوامل التي تدفع الشباب اليافعين إلى الهجرة. وبين "برونسون ماكلينلي" أنه "يكون الدافع الاقتصادي في الفاعل المحرك بالهجرة زيادة عن الدافع الاجتماعي المتمثل في ارتفاع نسب البطالة وانتشار الفقر الذي يؤدي إلى اللجوء إلى عملية الهجرة بصفة شرعية أو غير نظامية" (ماكيلي، 2015).

وضعية الشباب المهاجرين أثناء الرحلة :

هذه الوضعية ارتبطت أساسا بالظروف التي مرت بها الرحلة سواء كانت إيجابية أو سلبية (نجاح الرحلة أو فشلها) .

جدول عدد 8: توزيع المستجوبين حسب الظروف التي مرت بها الرحلة

الظروف التي مرت بها الرحلة	سيئة	متوسطة	جيدة	المجموع
العدد	21	7	2	32
النسبة %	70	24	6	%100

المصدر: البحث الميداني

الملاحظ أن 70% من مجموع 30 مستوجب رجَّحوا أن الرحلة كانت سيئة معتبرين ذلك أن الخطر موجود والسبب في ذلك غياب الشروط الأولية الوقائية التي كان متفق عليها والخطر الثاني هو غياب الحد الأدنى من توفير الضروريات اللازمة للإبحار بصورة جيدة باستعمال مراكب غير صالحة للاستعمال.

نتائج محاولات الهجرة السرية بالشباب

جدول عدد 9: توزيع أفراد العينة حسب نتائج محاولة الهجرة:

نوع الهجرة	هجرة ناجحة	هجرة فاشلة	المجموع
العدد	8	22	30
النسبة %	27	73	%100

المصدر: البحث الميداني

يوضح الجدول أن مخاطر الهجرة مرتبطة أساسيا تفشل هذه التجربة وهو ما عبر عنه 22 شاب من فئة المستجوبين بنسبة تُقدر 73% وذلك راجع الى عدة أسباب نَسْتَشِفُها من الجدول التالي :

جدول عدد 10: توزيع المستجوبين حسب أسباب فشل الرحلة

أسباب الهجرة	البطالة	الفقر	الاضطرابات النفسية	المجموع
العدد	4	13	13	30
النسبة %	14	43	43	%100

المصدر: البحث الميداني

يتضح من خلال هذا الجدول، أن الأسباب الحقيقية وراء فشل عمليات الهجرة السرية عديدة ومتنوعة نستعرض النتائج من خلال الجدول التالي:

حيث أن 43% من أفراد العينة يرون أن نجاح العمليات الأمنية على مستوى الحدود البحرية له دور فعال في الحد من مخاطر الهجرة لدى الشباب، في المقابل يرى 43% من العينة أن الفشل يشبه تعطل المركب المعد للهجرة والمخاطر عديدة مآلُها الموت (الغرق)، السجن، خطايا مالية متعددة، وكلها تعتبر صعوبات تتعلق بالعوامل المناخية.

نتائج البحث

بعد استعراضنا لما سبق من نتائج البحث بالهجرة السرية للشباب اليافعين من مجتمع المخاطر. ماهي الخلاصة التي يمكن استخلاصها من تلك النتائج؟

إن البحث الميداني المنجز بالورقة البحثية والمتعلق ببعض جوانب الهجرة غير الشرعية في تونس بعد التغيرات الكثيرة التي عرفتها البلاد منذ 2011، واختيار الجنوب الشرقي التونسي

نموذجا لهذه الدراسة من خلال الوقوف على حيثيات هذا والبحث والتطرق إلى أهم دوافع هذه الظاهرة والبحث في خصوصياتها وانعكاساتها على المهاجر وعلى محيطه.

ونتبين أيضا أن الهجرة السرية بالجنوب الشرقي التونسي أصبحت مقتصرة على الفئة الذكورية من الشباب اليافعين في العصر الراهن نظرا لضيق الأفق في المستقبل الآمن في بلد باتت تهزه الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وارتفاع منسوب الإحباط واليأس.

وتُؤكد الدراسة أيضا أن مؤسسات الطفولة في تونس تواجه صعوبات كبرى، تتعلق بالتمويل لذلك لم تتمكن من استيعاب الأطفال القُصَّر وتأطيرهم وأصبَحت العائلات تدفع بأبنائها نحو المخاطرة بالهجرة السرية وتعمل على توفير المال لتلك العملية.

وتتوضح الصورة أيضا لمختلف الفئات الشبابية من خلال تغير الملامح النفسية والاجتماعية للمهاجرين خلال سنوات ما بعد 2011 (سنة الثورة) بعد أن كانت الهجرة السرية تستهوي الفئة القادرة على العمل لتشمل اليوم الشباب القُصر وهو ما يعكس عمق الأزمة الاقتصادية التي تمر بها تونس وبالتحديد الجنوب الشرقي (ولاية مدنين).

الخاتمة

لنَعد الآن من حيث بدأنا حتى نُبين أن أساس مشروع هذه الدراسة هو التطرق أولا إلى أهم الأسباب الدافعة بشباب اليوم إلى اتخاذ قرار الهجرة السرية

ثانيا: تعتبر تونس من بين الدول التي تعاني من فشل التحكم في هذه الظاهرة بين فئات المجتمع وخاصة الشباب القُصر الذين تتراوح أعمارهم بين [13-24] حسب تعريف "Olivier Gallon"في كتابه"Sociologie de la jeunesse" ، إلا أن هذه الظاهرة مازالت تشكل خطرا على المجتمع بأسره نظرا لغياب الجدية في التعامل معها، من خلال إيجاد حلول الاقتصادية والاجتماعية من جهة، والحلول الأمنية من جهة أخرى.

ثالثا: تبقى الهجرة السرية من منظور هؤلاء المهاجرين هي الحل الوحيد كتحسين الوضع الاجتماعي الذي يرتبط بمفهوم الربح السهل والكسب المرتفع.

رابعا: إن انسداد الآفاق لدى شباب المستقبل بسبب ارتفاع نسبة البطالة يُحتِم تبني إستراتيجية اقتصادية تؤدي إلى خلق العمل وتنمية مستدامة قائمة على انجازات حقيقية تحدُّ من التفاوت الاقتصادي بين إقليم الجنوب الشرقي بولاية مدنين وبقية الأقاليم وأن يكون التعاون

مشترك بين تونس والبلدان الأوروبية إحدى الآليات الكفيلة لتحقيق الهدف المنشود وهو الحد من تدفق الهجرة السرية لهذه الفئة الشبابية التي تمثل العمود الفقري للبلدان الأصلية.

REFERENCES

Adnz Anthony. (2005). Sociology, 13. (Translation by Dr. Fayez al-Sabbagh, translators) Beirut: Centre for Arab Unity Studies.

Ahmed al-Rabaia. (2010). Studies in migration theory and its social and cultural problems. 42. Amman Jordan.

Ahmed Arbaia. (2011). Studies and theories of migration and its social and cultural problems. 47. Oman.

Aisha Tipp Shepherd. (1992). The economic and social repercussions of migration on the south-east are exemplary. Master's thesis Faculty of Humanities and Social Sciences, Tunisia Department of Sociology.

Amir Faraj Yusuf. (2011). Combating human trafficking and illegal migration in accordance with international realities, covenants and protocols. Alexandria: Modern Arab Office.

Brunson McKelly. (2015). Number of illegal immigrants (162), 9. International Policy Journal.

Ernest Ravenst. (2014). Immigration laws. 167. London: Statistics Society newspaper.

Faiza Khanov. (2015-2016). The security dimension of migration within the framework of Oromgarbian relations. 43. University of Algiers.

Happiness of the secret. (2011). Media treatment of the phenomenon of clandestine migration in Algeria. 46. Sharjah, United Arab Emirates: Faculty of Communication, University of Shar.

Martin Grievich. (2012). Basic concepts in international relations. Gulf Research Center.

Medha Abbas Khulusi. (2016). Organized crime and methods of confrontation in the Arab world, Riyadh Centre for Studies and Research. Riyadh.

Mehdi Sharif. (2015). The phenomenon of clandestine migration in Algeria has worsened. 50.

Mohamed Hamza. (2012). Poverty: evolving conceptual framework indicators. 115.

Olivier Galland .124 .(2019) . Edition the discovery, vle, Landmarks.

On the whales. (2017). Clandestine migration to Europe through the Maghreb countries. Tripoli: Arab League.

Osman, Mahmoud Nur, Yasser Awad, Karim Mubarak (2016). clandestine migration and crime. 18-19. Riyadh.

Samir Ruihi. (2008). Illegal migration to living Italy: sociological study. 23.

Samir Ruiz. (2008). Illegal migration to Italy living and representing. 97.

Southern Development Bureau. (2023). State Office for Development and International Cooperation 4119. Civilians.

Spray help. (2018). The reality of clandestine migration in Algeria from a human security perspective. 112. Faculty of Law and Political Science Department of Political Science.

Tunisia's Red Crescent in Sousse. (2020). Statistics of irregular migrants.